ليـــلى العفيفة

رواية شعرية عربية

تأليف المرحوم الأستاذ محمد عبد المطلب

قد لايعرف القارىء أن المرحوم الأستاذ « محمد عبد المطلب » كان أسبق الشعراء إلى تأليف الروايات الشعرية العربية ، ولو أنه ليس أول من مثلت له رواية من هذا النوع ، وقد كان ذلك منذ عشرين عاماً ، وتحفظ له « دار الكتب المصرية » من رواياته تحت عنوان « سلسلة الروايات العربية » روايتى : « المهلهل » و « امرىء القيس » ، وله أيضاً عدة روايات تمثيلية أخرى ، وضعها خاصة لفرق التمثيل بالمدرسة السعيدية وقت أن كان يدرس بها .

وفى سنة ١٩٠٩ أراد أن يزود المسرح المصرى الحديث بقصص عربية تمثيلية غنائية ، يمكن أن يرتضيها ويعجب بها أصحاب الثقافة العصرية ؛ ففى نفس تلك السنة بدأ بوضع رواية « ليلى العفيفة » ، ولكن أعماله فى مدرستى دار العلوم والقضاء الشرعى ، حالت بينه وبين إتمام هذه القصة وتقديمها للمسرح كما أراد ، ثم عاد الأستاذ فى أواخر أيامه يفكر فيما كان قد اعتزمه من قبل ، ولكن الموت حال بينه وبين تحقيق رغبته .

وهى الآن بين يدى صديقه الأستاذ « محمد الهراوى » على أن يجرى فيها مايستطيع من تعديل وتحوير ، بما يلائم ما عرفه من ذوق صديقه فى الأسلوب والتفكير ؛ وما يحول دون إتمام ذلك منه الآن ، إلا صعوبة مواجهة ما كتبه صديقه الفقيد بخطه وقلمه ، لما يثير ذلك فى نفسه من ذكريات أليمة تجعل من العسير عليه جمع فكره لإجراء هذا التعديل .

غير أننا تقديراً لعمل شاعر جليل قد فى أسلوبه البدوى المأثور عنه عما تعوده جمهور الأدباء فيما قرءوا له من شعر ، رأينا أن ننشر الجزء الذى كتب من « ليلى العفيفة » . وقد أرسله إلينا صديقنا الأستاذ الهراوى مع خطاب رقيق يفيض شكراً وتقديراً لجهود « المعرفة » فى خدمة الثقافة والشعر والأدب ، وها نحن أولاء نبدأ بنشر الأصول التى تركها الفقيد بخطه شاكرين للأستاذ الهراوى عاطفته نحو « المعرفة » .

وسيرى القراء أن هذا الشاعر البدوى ، كان — حين يريد — حضرياً فى أسلوبه

الشعرى وفى تفكيره، وقد عمد إلى قصة جاهلية حدثت أيام العرب الأولى ليتحف بها أبناء المدنية الحاضرة ...
المحرر

الفصل الأول

يجلس لكيز مفكراً فى أمر ليلى وخطبة عمرو بن ذى صهبان إياها ، فيراجعه أحد بنى كليب ، وينهاه عن ذلك حرصاً على البرّاق خطيبها الأول وابن عمها ؛ فيصر على إجابة عمرو ، ورد البراق ، فتحزن لذلك ليلى والبراق ، وينتهى الأمر بأن يخرج البراق من ديار قومه مغضباً إلى البحرين .

كليب: ما لأبى ليلى حزينا مطرقا ؟
لكيز: أرّقنى شغل بليلى أرقا جمّع من همى ما تفرقا
عمرو بن ذى صهبان لما حققا أن لها فى الحسن جداً صدقا
وفى المعالى غاية لن تلحقا بادر فى خطبتها مستبقاً
كليب: رام ابن ذى صهبان صعب المرتقى إن سمع البرّاق أو تحققا
بأن عمراً باب ليلى طرقا أرعد كالليث لنا وأبرقا
وطبق الأرض علينا طبقا
لكيز: لكن عمراً بالأيادى سبقا قلدنا نعماه وطوقا
يجود كالغيث علينا غدقا إذا بنا صرف الليالى أحدقا
كليب: لكنه ليس من البراق أحق بالطاهرة النطاق
نقية الأعراض والأعراق وهو فتى الجيش لدى التلاقى
وما لبكر غيره من واق إذ تأخذ الخطوب بالخناق
وتلعب الأرواح بالتراقى فى يوم هول مظلم الآفاق
لكيز: نعم ولكن لا يرد عمرو عن مثل ليلى
كليب: ذاك شىء نكر
تغضب منه تغلب وبكر
لكيز: أيغضبون وهو ذو أياد عليهم كثيرة التعداد؟
وإن أجبناه إلى المراد كان لنا عوناً على الأعادى
وفرجاً للكرب الشداد من أزمة أو سنة جماد؟
فرده ليس من السداد
كليب: إياك يا ابن العم أن تجيبا فإن فيه اللوم والتأنيبا

وإن ليلى - إن تكن أريبا - تأبى سوى ابن عمها خطيبا
وهو وإن كان لها حبيباً فما أتت نكراً ، ولا عجيباً
فلا يزال السيد الأريبا في قومها والبطل المهيبا
يكفيهم البأساء والكروبا

الكيز : ويحك ! هل ليلى ترد أمرى برد هذا وقبول عمرو؟
رضيت عمراً أن يكون صهرى ماحجتى فى رده ماعذرى؟
أليس فى منعيه عين الغدر ولو أبى البراق إلا هجرى؟
فليجر فى قطيعتى ما يجرى

كليب : يا أبا ليلى كفى . فالحقوق . أنكرتها . ذلك الغدر
وأحاديث الجفا . والعقوق . كررتها . حلوها مر
غضب البراق مر لايطاق وله العذر

يخرجان فتدخل سلمى وجارة لها تواسيها عما أحزنها من رد ابن عمها عنها وإجابة ذى صهبان .

ليلى : رب ! كم تبلو وتمتحن إن قلبى شفه الحزن
كلما قلت انجلت محن عاودتنى بعدها محن
سلمى : هل أتى عن ركبنا نبأ محزن، من بعد ما ظعنوا؟
ليلى : لا . ولكنى أرى جللا عاجلاً يسعى به الزمن
يا ابن عمى ! إن لى كبداً قد براها بعدك الشجن
إنما البراق خير فتى فيه بنت العم تفتتن
صده عنى أبى سفهاً وأبى فى رأيه أفن
وأتى عمرو ليخطبنى فأذلتهم له المنن
ليت شعرى ما الذى خبأت لى من أحداثها اليمن
ليتنى يوم أزف له يحتوينى قبله الكفن
سلمى : إن فى الأيام معتبراً والليالى بينها غبن
اصبرى ليلى ! ولا تهنى إن عزم الحر لايهن
ليلى : ارحمى ياسلم والهة غلقت من قلبها الرهن
وارحمى البراق فهو بنا قد جفا أجفانه الوسن
سلمى : قدك ياليلى أرى شبحاً
ليلى : أترى قومى بنا فطنوا؟

ثم تخرجان مسرعتين ويدخل البراق مجزوناً مع آخراسمه « عقيل »

براق : ياعقيلاً ، ياعقيلا ، ما ترى الليل طويلا ؟
ما لنجم الليل لا يبـــغى عن الأفق أفولا ؟

عقيل : طال ليلى وهو أولى بعد ليلى أن يطولا

براق : بالأسى قد عيل صبرى

عقيل : أى نعم ، صبرك عيلا
يا ابن روحان رويداً واصبر الصبر الجميلا

براق : إن يحل دونى فإنى عن هواها لن أحولا
يرتضى مثل ابن ذى صهـــبان من ليلى حليلا
إن ليلى ياعقيل لا ترى منى بديلا
ظلموني ظلموها أغضبوا السيف الصقيلا
انا إن لم أسق عمى بالردى كأساً وبيلا

عقيل : أو ترضى يتم ليلى

براق : لا ، ولا . حسبى ذهولا
قطع السيف عيناً تترك النعم قتيلا
والفتى من كان للأهـــلين مسعاها وصولا
غير أنى لا أرى عن أرضكم إلا الرحيلا
ياقومى للنوى زمـــوا عن الحى احولا
وإلى البحرين فى صبح غد ، حثوا الرعيلا

وعندما يقول ياقومى يحضر رجاله وينشدون انتوشيح الآتى :

أيها الحادى أجد النغما وارجر العيس على مجرى الصبا
مر حلو العيش فى هذا الحمى وذوى مخضل أنوار الربى
ظلم البراق فيـــه ظلما والفتى من سيم ظلماً فأبى

***

أغضبوه بالذى قد فعلوا ومتى يغضب لأمر نغضب
أحنقوا السيف وثار الأسل وبدا العدوان ياخيل اركبى
فرأى الحزم بأن يرتحلوا قبل أن يبدو جيش العطب

***

وإذا الجر رأى الشر طما أعمل الرأى وخلى الغضبا
وإذا جاروا عليه حلما وحمى العرض وصان الحسبا

الفصل الثانى

يرحل البراق إلى اليمامة فيأتيه أعداء قومه من طيء وقضاعة يستعدونه عليهم فيأبى ويغضب الوفد فيرحلون عنه ثم تأخذه الحمية لنصرة قومه فيرجع إليهم وينصرهم ويستخلص الأسرى والسبايا وفيهن ليلى ويتم النصر لقومه بسببه .

منظر

البراق باليمامة وقد أتاه الخبر بما حل بقومه بعده من وقوع الحرب بينهم وبين طيء وقضاعة : فهو مهموم يتغنى . فيدخل عليه وفود هذين الحيين .

براق : أتانى أن قومى جد فيهم ... من الحدثين شر مستطير
أناخت بينهم حرب عوان ... ضروس لاردى فيها زئير
وما أدرى أيذكرنى لكيز ... إذا استعرت وطار لها زفير
وهل هو بابن ذى صبهاز يغنى ... إذا عميت على القوم الأمور ؟

خادم : ضيوف بالرحاب

براق : بهم وأبه بلا

الضيوف : سلام

براق : مرحباً وقرى وفير

الضيوف : نزلنا بأبى نصر سلام يا أبا نصر
دعونالك إلى أمر فهل تصغى إلى الأمر ؟
بنو عمك قد جاروا ومدوا سيد الشر
وقد خانوك من قبل بمحض البغى والغدر
خذلنا وأيدنا عليهم واسع فى النصر
تحالفك على من شئ ت فى بر وفى بحر

براق : ذروني لست أترك آل قومى ... وأرحل عن فنائى أو أسير
بهم ذلى إذا ما كنت فيهم ... ولكن لى بهم شرف خطير
أأنزل بينهم إن كان يسر ... وأرحل إن ألم بهم عسير ؟

الضيوف : دعوا البراق وانتموا سوى البراق وحكمو
فنحن قضاعة وهم ربيعة كيف نلتئم
سنلقاهم ويلقونا وبحر الموت يلتطم

براق : يابنى أمى اركبوا خيلكم لاح الصباح
توبوا فى قومكم للعوالى والصفاح
أدركوا أهليكم صرح الشر وباح
قومه : غداً نلقاك بالخيل عديد النجم والسيل
ونسقى طيئاً كأساً دهاقاً مترع الويل
غداً نصلى بنى إلحا ق من الشر ما نصلى

ويخرجون ويرخى الستار

الفصل الثالث

البراق محزون لما أصاب قومه من قضاعة ومقتل أخيه ورثائه فى شعره فيقول:

دعانى سيد الجيشين منا بنى أسد السميدع للغمار
يقود إلى الوغى ذهلاً وعجلاً بنى شيبان فرسان الوقار
وآل حنيفة وبنى ضبيع وأرقمها وحى بنى ضرار
وشوساً من بنى جشم تراها غداة الروع كالأسد الضوارى
إلى أخوالهم طيء فأهدوا لهم طعناً من العدوان وارى
صبحناهم على جرد عناق بأسياف مهندة قوارى

***

ولكن آه هم قتلوا أخى يا ويلهم ظلموا
ظليل ظل أهليه ونار البأس تحتدم
تركت بناره خالى بأم الأرض يرتطم
غداً ستلفهم منا بدومة غارة عمم
وأخوالى وإن كرموا فمأم فى أخى حرم
وإن غداً وبعد غد لرهن بالذى علموا

ثم ينصرف ويدخل بعض الطائيين بالسبايا وفيهم ليلى (ويرفع عنهما ستار) .

حارس: أيها السائقان بالسفح مهلا خبرانى عن أهلها وأقلا
واضربا الذكر عن شبا البيض صفحاً إن لى بالحسان والبيض شغلا
وسلا هذه الظعائن عنى إذ لقينا فى ملتقى الكر ذهلا
كم تركنا منهم هناك صريعاً وسبياً عقيلة الحى ليلى

الحارس : بابنة القوم كفكفى الدمع وانسى الروحان بله ذهلاً وعجلا

ما ادكار البراق إلا ضلال اذكرى طيئاً إذا شئت بعلا
ليلى تجيبه : حسبك يا ابن الخنى ضلالا لقد تماديت فى الضلال
ماطيء فى الوغى إذا ما تعادت الخيل بالرجال ،
غدا يقيم البراق سوقاً للموت بالضرب والنزال
تغدو بها طيء حصيراً للمشرفيات والعوالى
الحارس وصحبه: قدكن ماهذا الصخب؟ أنتن سبى وسلب

لطيء دون العرب

صاحبه : خل العذارى وانطلق فبارق الموت يرق
فذلك البراق بالخيل إلينا يستبق
امرأة من السبى : ماهم فى العدو جدوا أطلقوا الخيل وشدوا
ليلى : ها أتت خيل ابن عمى كالقطا فى البر تعدو
فوقها فتيان صدق كلهم فى الروع أسد
وهو كالكوكب فيها يابنات العم يبدو
يابنات العم هيا تتلقاهم ونحدو
ليلى : خيلنا اسلمى فاتك الردى
ثم اقدمى واحقق العدا
خيل تغلب أقبلت تجول
فوق سبسب تحمل الفحول
ويل طيء ذاقت الهوان
بيد امرىء صادق الطعان
البراق يدنو منها وهى تقول :
يا ابن عم لا بعدك الظفر
نجمك اعتلى خصمك اندحر
براق: ياليل ! قومك عنك قد نكلوا ياخجلتى يابئس مافعلوا
أفأسلموك وأمعنوا هربا وتخطفتهم دونك السبل ؟
أم كانت الجلى فما ثبتوا وعن الحريم لهولها ذهلوا ؟
أهلوك لا ميل ولا كشف عند اللقاء، إذا هم نزلوا
إن يخذلوك فرب معترك عميت به النجدات والخيل
ثم يأخذهن وينصرف وتسدل الستار ؟